لَـوِ ٱسْـتَـفْـرَغْـتَ جُـهْـدَكَ فِـي قِـتَـالٍ
أَتَـيْـتَ بِـهِ عَـلَـى الـدُّنْـيَـا جَـمِـيـعَـا[١]
سَـمَـوْتَ بِـهِـمَّـةٍ تَـسْـمُـو فَـتَـسْـمُـو
فَـمَـا تُـلْـفَـى بِـمَـرْتَـبَـةٍ قَـنُـوعَـا[٢]
وَهَـبْـكَ سَـمَـحْـتَ حَـتَّـى لا جَـوَادٌ
فَـكَـيْـفَ عَـلَـوْتَ حَـتَّـى لَا رَفِـيـعَـا[٣]

يا مغنياً أمل الفقير لقاؤه

يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب:

[الكامل]

أَرَكَـائِـبَ الأَحْـبَـابِ إِنَّ الأَدْمُـعَـا
تَـطِـسُ الْـخُـدُودَ كَـمَـا تَـطِـسْـنَ الْـيَـرْمَـعَـا[٤]
فَـاعْـرِفْـنَ مَـنْ حَـمَـلَـتْ عَـلَـيْـكُـنَّ الـنَّـوَى
وَٱمْـشِـيـنَ هَـوْنـاً فـي الأَزِمَّـةِ خُـضَّـعَـا[٥]

---

(١) استفرغت: خصّصت. يُخاطب الشاعر ممدوحه واصلاً بقدرته القتالية إلى أقصى حدودها؛ فلو أنه وضع كلّ جهوده في القتال لأخضع الكون لإرادته وأهلك كلّ من فيه من البشر.

(٢) سموت: علوت. تلفى: توجد. يُخاطب الشاعر ممدوحه، لقد أدرك أعلى مراتب المجد لهمته وإرادته العظيمة التي أهّلته لاحتلال أعلى قمم العلى، ومع ذلك، فيبدو أنه لم يكتف بما حقّقه بل لم تعرف القناعة طريقاً إلى همته وعقله.

(٣) هبك: احسب. يُخاطب الشاعر ممدوحه منوهاً بطموحه أنه فاق كلّ كريم، فلم يبلغ أحد شأوه في هذا المجال، ولم يكتف بذلك فإذا به يسمو على سائر البشر في مضمار العظمة فاعتلى أعلى مكان فيها، فإذا به يبلغ السماء ويُمسك النجوم بيديه.

(٤) الوطس: الدق بقوّة. اليرمع: حجارة رخوة صغيرة. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. إنها دموع غزار شديدة الوطء بحيث تؤلم الخدود وكأنها أخفاف الإبل تطأ الحصا بقوّة فتفتتها.

(٥) النوى: البعد. الهون: التؤدة. الأزمة، الواحد زمام: مقود الدابة. يُخاطب الشاعر الإبل التي تنقل حبيبته بعيداً ويُوصيها أن تعرف قدرها بالنسبة إليه، كما يُوصيها بالسير =

قَـدْ كَـانَ يَـمْـنَـعُـنِـي ٱلْـحَـيَـاءُ مِـنَ الْـبُـكَـا
فَـالْـيَـوْمَ يَـمْـنَـعُـهُ الْـبُـكَـا أَنْ يَـمْـنَـعَـا[١]
حَـتَّـى كَـأَنَّ لِـكُـلِّ عَـظْـمٍ رَنَّـةً
فِـي جِـلْـدِهِ وَلِـكُـلِّ عِـرْقٍ مَـدْمَـعَـا[٢]
وَكَـفَـى بِـمَـنْ فَـضَـحَ الْـجَـدَايَـةَ فَـاضِـحـاً
لِـمُـحِـبِّـهِ وَبِـمَـصْـرَعِـي ذَا مَـصْـرَعـا[٣]
سَـفَـرَتْ وَبَـرْقَـعَـهَـا الْـفِـرَاقُ بِـصُـفْـرَةٍ
سَـتَـرَتْ مَـحَـاجِـرَهَـا وَلَـمْ تَـكُ بُـرْقُـعَـا[٤]
فَـكَـأَنَّـهَـا وَالـدَّمْـعُ يَـقْـطُـر فَـوْقَـهَـا
ذَهَـبٌ بِـسِـمْـطَـيْ لُـؤْلُـؤٍ قَـدْ رُصِّـعَـا[٥]

= السهل الهادئ مخافة أن تتأذى في حال الإسراع، ومتمنياً عليها الخضوع لإرادة قائديها.

(١) الحياء ملكة في النفس، وهو يجعله يتماسك فلا يبكي لبعد حبيبته، والآن قد تبدّلت الأحوال فإذا بالدموع تنهمر فحالت دون الحياء الذي استجاب لإرادة المنع فامتنع.

(٢) الرنّة: الصوت. المدمع: مجرى الدمع. الشاعر شديد التأثر ممّا يجري أمام عينيه الدامعتين، فإذا بكلّ عظم من عظامه يُصدر صوتاً حزيناً، بل كلّ جارحة تئنّ بدورها لما هو عليه من حزن وألم.

(٣) الجداية: الظبية. فضح: أظهر وأبان. يصف الشاعر حبيبته إنها غاية في الجمال. فهي فضحت الغزال برقّته وأناقته وجماله، ففاقته بما هي عليه، إنه جمال كامل الأوصاف، وهذا يكفي ليُسبّب بهلاك من وقع أسير هذا الجمال، وبقدر ما هي جميلة بقدر تعلّقه بها وعشقه لها.

(٤) سفرت: كشفت عن وجهها. البرقع: غطاء الوجه. المحاجر، الواحد محجر: ما حول العينين. إنها لحظة الوداع، لحظة الفراق الطويل، الحبيبة تكشف عن وجهها، والحزن يصبغ ذلك الوجه البديع بغلالة من الحزن صفراء، تُشبه صفرة الموت كأنها برقع يغطّي مفاتنها، والخوف بادٍ على محيّاها؛ إنه القدر الذي قضى على الأحبّة بالفراق.

(٥) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٩. السمط: خيط القلادة. يصف الشاعر حبيبته وهي دامعة؛ فإذا بدموعها المنحدرة على وجهها =

كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا
فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا[١]
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا
فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا[٢]
رُدِّي الْوِصَالَ سَقَى طُلُولَكِ عَارِضٌ
لَوْ كَانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ مَا أَقْشَعَا[٣]
زَجِلٌ يُرِيكَ الْجَوَّ نَاراً وَالْمَلَا
كَالْبَحْرِ وَالتَّلَعَاتِ رَوْضاً مُمْرِعَا[٤]

= الذي غطته صفرة صُبغت بالحزن، فبدا وجهها ذهبيّ اللون وقد رُصّع بسمطين من اللؤلؤ المنحدر من عينيها.

(١) يروى «كشفت» بدلاً من «نشرت». الذوائب، الواحدة ذؤابة: الخصلة من الشعر. الشعر الأسود ميزة المرأة العربية ينسدل بهدوء فيعطيها جمالاً رائعاً، والشعر رمز الليل لسواده، لقد كشفت حبيبة الشاعر عن ما يُميّز جمالها. إنه شعر يسبح على صدرها البديع ووجهها المنسجم مع شعرها، فإذا به يُشرق وتبدو أربع ليالٍ في ليل شرقي يشعّ حبًّا وجمالاً.

(٢) ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٣٦٠، أمالي ابن الشجري ١: ١٤، مغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ٦٨٧. إنه استقبال الفرح، عندما يستقبل امرؤ امرأ على شاكلته، يتآلف معه وينسجم معه روحياً، فكيف بمن أشبه القمر جمالاً ورفعة وضياء، والقمر يسامر المحبين، فدون شكّ كلا القمرين يبوح لرفيقه بما يُضمر في أعماقه من حبّ، فيكون الاستقبال ممزوجاً بالودّ والحبّ.

(٣) الطلول، الواحد طلل: الآثار الباقية من رسوم الديار. العارض: السحاب المعترض في الأفق. أقشع: انكشف، وبان. يُخاطب الشاعر حبيبته، طالباً منها أن تصله وتلقاه ليبثها لواعج قلبه فيستريح، متمنياً السقيا لتلك الأطلال التي تركتها، مطراً دائماً متواصلاً لا انقطاع له على أن يُشبهه وصالها، فلو كان دائماً كالمطر ما انقشع ولدامت روابط الحبّ قوية.

(٤) الزجل: المصوت الذي يُحدث صوتاً. الملا: المتسع من الأرض والصحراء، التلعات، الواحدة تلعة: التلات تنحدر منها المياه إلى الوديان. الممرع: الخصيب. يصف الشاعر العارض بأنه غطّى السماء ببرقه، فاستحالت كنار ملتهبة، فإذا بالأمطار =

كَـبَـنـانِ عَـبْـدِ الْـوَاحِـدِ الْـغَـدَقِ الَّـذِي
أَرْوَى وَأَمَّـنَ مَـنْ يَـشَـاءُ وَأَجْـزَعَـا[١]
أَلِـفَ الـمُـرُوءَةَ مُـذْ نَـشَـا فَـكَـأَنَّـهُ
سُـقِـيَ الـلِّـبَـانَ بِـهـا صَـبِـيًّـا مُـرْضَـعَـا[٢]
نُـظِـمَـتْ مَـوَاهِـبُـهُ عَـلَـيْـهِ تَـمـائِـمـاً
فـاعْـتَـادَهـا فـإذَا سَـقَـطْـن تَـفَـزَّعَـا[٣]
تَـرَكَ الـصَّـنَـائِـعَ كَـالْـقَـوَاطِـعِ بـارِقـا
تٍ والـمَـعَـالِـيَ كـالْـعَـوَالِـيَ شُـرَّعَـا[٤]

= تنهمر بغزارة فغطّت الأرض وبدت كأنها بحر طام، إنه يُحوّل التلال بمياهه وتدبّ بها الحياة خضرة ونماءً وخصباً.

(١) البنان: الأصابع. الغدق: الجمّ، الكثير، انتقل الشاعر من وصف ذلك العارض بفيض مائه بكرم عبد الواحد متخلّصاً إلى مدحه؛ إنه كريم معطاء يُغدق خيراته كما ينشر العارض دفق الخير بغير حساب، فضلاً عن أنه مصدر أمن إلى مواطنيه لحمايته لهم، ومصدر رعب وخوف لمن عاداه، إنه نار على أعدائه وخير على أحبائه.

(٢) ألف: اعتاد، المروءة: الشهامة. اللبان، الواحد لبن. إنها عادة حميدة تربّى عليها منذ طفولته الأولى، فهو شهم كريم، ولقد رضع لبانها مع لبان الأم ونشأ على ذلك، فأصبح ذلك أهمّ مكوّناته وصفاته المتأصلة فيه في شبابه.

(٣) التمائم، الواحدة تميمة: التعويذة، إن الممدوح ذو مواهب متعدّدة المناحي والأشكال لازمته كأنها تمائم تستره من أعين الحاسدين، بفضل عطائه وكرمه، فاستحقّ المدح من قبل الشعراء، والدعاء من قبل الفقراء، فكان كلّ ذلك بمثابة تمائم تحرسه وتمنع عنه حسد الحاسدين، ولو امتنع عنها لكان ذلك مثار خوفه، وقد اعتاد على سماع الدعاء والمدح، ولذا فلن يمتنع عن رفد هؤلاء عطاءه.

(٤) ترك: بمعنى جعل. الصنائع، الواحد صنيع: فعل الخيرات. القواطع، الواحد قاطع: السيوف. بارقات: لامعات. المعالي: الأمجاد. العوالي: صدور الرماح. شرّاع: مقوّمة. يصف الشاعر أثر أفعال الخير التي يقوم بها الممدوح، فقد حوّلها سيوفاً تقطع ذوات الحاجات عن السؤال والمذلّة، وهي مشرقة ضياء كلمع السيوف، ولقد نهض بأمجاده حتى انتشر صيته في الآفاق.

مُـتَـبَـسِّـمـاً لِـلـعُـفـاتِـهِ عَـنْ وَاضِـحٍ
تَـغْـشَـى لـوَامِـعُـهُ الْـبُـرُوقَ الـلُّـمَّـعَـا[١]
مُـتَـكَـشِّـفـاً لِـعُـدَاتِـهِ عَـنْ سَـطْـوَةٍ
لَـوْ حَـكَّ مَـنْـكِـبُـهَـا الـسَّـمـاءَ لـزَعْـزَعـا[٢]
أَلْـحَـازِمَ الْـيَـقِـظَ الأغَـرَّ الْـعَـالِـمَ الْـ
ـفَـطِـنَ الأَلَـدَّ الأريـحـيَّ الأرْوَعَـا[٣]
أَلْـكَـاتِـبَ الـلَّـبِـقَ الْـخَـطِـيـبَ الْـوَاهِـبَ الـنَّـ
ـدُسَ الـلَّـبِـيـبَ الْـهِـبْـرِزِيَّ الـمِـصْـقَـعَـا[٤]

---

(١) العفاة، الواحد عافٍ: السائلين، المحتاجين. تغشى: تغطّي. لوامعه: ثناياه. يصف الشاعر لقاء ممدوحه السائلين، إنه لقاء ودٍّ ومحبّة يبعث في نفسه الفرح، فإذا بالابتسامة تضيء وجهه وتنفرج أساريره حتى تبدو ثناياه مشرقة بيضاء فتذهب بضوء البروق.

(٢) يروى «صكّ» بدلاً من «حكّ». وحكّ: زاحم. يمدح الشاعر ممدوحه بالشجاعة والقوّة؛ إنه يُجاهر بعداوته لأعدائه فلا يجبن ولا يضعف وهو ذو سطوة تزعزعهم حتى إنه لو زاحم السماء لأمكنه ذلك فتزلزلت من قدرته. وذلك من المبالغات التي يعمد إليها.

(٣) و (٤) يرصف الشاعر المزايا التي تُعتبر من مفاخر الإنسان العربي عبر التاريخ؛ إنه حازم يأخذ الأمور بجدّ ولا يتوانى، دائم اليقظة، فلا يغفل في أمور دولته، وذلك سرّ نجاحه، عالم بشتّى فنون العلم، ذو معرفة بأحوال البشر، فطن، فذكاؤه أهله ليتبوأ ذُرى المجد، ألدّ، شديد الخصومة لا يُداخله شعور برحمة أعدائه يصبّ جام غضبه عليهم، أريحيّ يستجيب لداعي الكرم ويُساعد المحتاجين بحبّ وعطف، أروع، فكلّ ما فيه يُثير الإعجاب ذكاءً وفِطنة، كاتب ذو معرفة تُؤهّله ليتبوّأ أعلى المناصب، لبق، يُحسن التصرف في الأوقات الحرجة بذكاء، خطيب مفوّه يعلو المنابر ويُشار إليه بالبنان، كريم يهتزّ فرحاً وأريحيّة عندما ينفح السائلين والمحتاجين، وهو يتفجّر فطنة وذكاءً، عاقل يتصرّف في الأمور بوعي وحذق، هبرزي يُسرّ الناظر إليه لجماله ووسامته وأناقته، مصقع خطيب مفوّه بليغ. إنه بلغ أعلى مراتب الكمال، فحقّ له أن يتبوّأ أعلى ذرى المجد.

نَـفْـسٌ لَـهـا خُـلُـقُ الـزَّمَـانِ لأنّـهُ
مُـفْـنِـي الـنُّـفُـوسِ مُـفَـرِّقٌ مـا جَـمَّـعَـا[١]
وَيَـدٌ لَـهـا كَـرَمُ الـغَـمَـامِ لأنَّـهُ
يَـسْـقِـي الْـعِـمَـارَةَ وَالـمَـكَـانَ الْـبَـلْـقَـعَـا[٢]
أَبَـداً يُـصَـدِّعُ شَـعْـبَ وَفْـرٍ وَافِـرٍ
ويَـلُـمُّ شَـعْـبَ مَـكَـارِمٍ مُـتَـصَـدِّعَـا[٣]
يَـهْـتَـزُّ لِـلْـجَـدْوَى اهْـتِـزَازَ مُـهَـنَّـدٍ
يَـوْمَ الـرَّجَـاءِ هَـزَزْتَـهُ يَـوْمَ الْـوَغَـى[٤]
يَـا مُـغْـنِـيـاً أَمَـلَ الْـفَـقِـيـرِ لِـقَـاؤُهُ
وَدُعَـاؤُهُ بَـعْـدَ الـصَّـلَاةِ إِذَا دَعَـا[٥]

---

(١) يمدح الشاعر ممدوحه بأنه صنو الزمان، فكلاهما يُفنيان البشر؛ فالممدوح يقضي عليهم بسيفه وشجاعته، والزمن يقضي عليهم بقضاء اللَّه سبحانه وتعالى، وهو كريم يُفرّق ما حصله من أموال بين البشر المحتاجين السائلين والشعراء.

(٢) العِمارة: المعمور من الأرض. البلقع: الخالي من الأرض. يمدح الشاعر ممدوحه بجوده العظيم؛ فكرمه مساوٍ لكرم الغمام الذي يفيض على سائر الأرض لا يبخل أبداً سواء أكانت عامرة بأهلها أم خلاءً من البشر؛ وذلك سرّ عظمة الممدوح.

(٣) يُصدّع: يُزلزل ويفرّق. الشعب: الشمل، الوحدة، الوفر: المال والغنى الكثير. يلمّ: يجمع. يمدح الشاعر ممدوحه بكرمه، إنه يُفرّق بين الخلق ماله الكثير فيشتت شمله، وفي المقابل يجمع لديه كلّ مكارم الأخلاق، وذلك مجال فخره وعزّه الذي لا يتفرّق.

(٤) الجدوى: الجود، العطاء، المهند: من أسماء السيف، وهو المصنوع في الهند. الوغى: الحرب وأصوات المقاتلة. يصف الشاعر ممدوحه بأنه يُطرب ويُسرّ يوم يتفضّل على الناس بعطائه تماماً كما يهتزّ السيف طرباً في يوم المعركة، ليدلّ على نفسه معتزًّا بما يفعل.

(٥) يُخاطب الشاعر ممدوحه مثنياً عليه فِعاله، إنه ملجأ الفقراء لدفع الفاقة عن كواهلهم، وهم يُبادلونه عِرفاناً بجميل ودعاءً بعد الصلاة ليحفظه اللَّه تعالى ويحميه من كلّ ضيق.

أَقْصِرْ وَلَسْتَ بِمُقْصِرٍ جُزْتَ الْمَدَى
وَبَلَغْتَ حَيثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فَارْبَعَا[١]
وَحَلَلْتَ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعاً
لَمْ يَحْلُلِ الثَّقَلَانِ مِنْهَا مَوْضِعَا[٢]
وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ
فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْمَعَا[٣]
نَفَذَ الْقَضَاءُ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ
لَكَ كُلَّمَا أَزْمَعْتَ شَيْئاً أَزْمَعَا[٤]
وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِيُّ كَأَنَّهُ
عَبْدٌ إذا نَادَيْتَ لَبَّى مُسْرِعَا[٥]

---

(١) و (٢) أقصر: توقّف. المدى: أقصى الغاية. اربعا: أراد اربعن، فحذف نون التوكيد ووقف بالألف للضرورة الشعرية. يطلب الشاعر من ممدوحه، وهو يعلم أنه لن يستمع لطلبه، إنه لن يتوقّف عمَّا اعتاد عليه وقد أدرك أقصى غاية تؤهله ليتبوّأ أقصى حدود العظمة، وقد أدرك أمانيه فحلّ حيث لم يستطع مخلوق من البشر أو الجنّ أن يتبوّأ تلك المعالي، فاعتلى أعلى السماكين وراح ينظر إلى سائر البشر.

(٣) ومن مآثر الممدوح أنه استطاع أن يجمع لديه فضائل البشر والجنّ في نفسه، وتلك الفضائل السامية لم يُحدّث مخلوق نفسه بجمعها لديه ولم تحدثه نفسه بإدراكها لقصور فيه وصعوبة مراقيها، فاستكان في بُقعة الخمول والكسل.

(٤) و (٥) أزمع: صمّم وعزم. إنها إرادة إلهيّة توافقت مع الممدوح واستجابت لرغبته، فإذا أراد شيئاً وافقته الأقدار وساعدته على بلوغ ما أراد بيسر وسهولة، وقد أطاعه الدهر، ومن طبيعته العصيان لإرادة البشر، ولكن الأمر مع الممدوح خلاف ذلك، إنها طواعية، وكأن الدهر في تلبيته لرغبة الممدوح كأنه عبد يستجيب لأمر سيده. يُشتمّ من ذلك حسد مبطّن من الشاعر، فضلاً عن المغالاة في قضيّة كهذه.

أَكَـلَـتْ مَـفَـاخِـرُكَ الـمَـفَـاخِـرَ وَانْـثَـنَـتْ
عَـنْ شَـأْوِهِـنَّ مَـطِـيُّ وَصْـفِـي ظُـلَّـعَـا[١]
وَجَـرَيْـنَ مَـجْـرَى الـشَّـمْـسِ فـي أَفْـلَاكِـهَـا
فَـقَـطَـعْـنَ مَـغْـرِبَـهَـا وَجُـزْنَ الـمَـطْـلَـعَـا[٢]
لَـوْ نِـيـطَـتِ الـدُّنْـيَـا بِـأُخْـرَى مِـثْـلِـهَـا
لَـعَـمَـمْـنَـهَـا وَخَـشِـيـنَ أَنْ لَا تَـقْـنَـعَـا[٣]
فَـمَـتَـى يُـكَـذَّبُ مُـدَّعٍ لَـكَ فَـوْقَ ذا
وَالـلَّـهُ يَـشْـهَـدُ أَنَّ حَـقًّـا مَـا ٱدَّعَـى[٤]
وَمَـتَـى يُـؤَدِّي شَـرْحَ حَـالِـكَ نَـاطِـقٌ
حَـفِـظَ الْـقَـلِـيـلَ الـنَّـزْرَ مِـمَّـا ضَـيَّـعـا[٥]

---

(١) و (٢) انثنت: رجعت، عادت. الشأو: الغاية. المطيّ: الواحدة مطيّة: الركوبة. الظلّع، الواحد ظالع: من يمشي كأنه يعرج. لقد بلغ الممدوح غايته القصوى، فإذا بمفاخره تأكل سائر مفاخر البشر بل إنها فاقت الجميع، فلم يجرؤ أحد أن يفتخر، فإذا بمطاياهم تتقهقر خجلى منطوية على خزي وخسران، ولم تتوقف مفاخر الممدوح عند حد فإذا بها تطوف الأرض جميعها كالشمس فلا تفوتها قطعة من الأرض إلّا شعّت حرارتها فأمدتها دفئاً وضياءً ونوراً، كذلك كان صيت الممدوح يخترق مشرق الأرض ومغربها.

(٣) نيطت: قرنت. يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً ببعد همّته؛ فرغم سعة الدنيا وما تتطلبه من إحاطة، فلو أن دنيا أخرى قُرنت بها لكانت همّة الممدوح قد شملتها مع أختها، وهذا ما يخيف الشاعر ألّا يكتفي الممدوح بذلك لبعد همّته وقوّة طموحه بلوغ أعلى الغايات في المعالي.

(٤) يُخاطب الشاعر ممدوحه معلّلاً مغالاته، فلو أن أحد المدّعين نسب تلك الأفعال إلى الممدوح ما كان كاذباً لأن اللّه تعالى يُصدّق شهادته، وذلك سببه قوّة إرادة الممدوح وعلو همّته.

(٥) النزر، القليل. يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً بكثرة مزاياه وفضائله، فلو أن امرأً حاول جمع فضائله لما أمكنه ذلك، ومهما تذكّر منها فإنه قليل أمام بحر واسع من الملكات التي اجتمعت لدى الممدوح.

إنْ كـــانَ لا يُـــدْعَـــى الْـــفَـــتـــى إلّا كـــذَا
رَجُـلاً فَـسَـمِّ الـنَّـاسَ طُـرًّا إصْـبَـعَـا[١]
إنْ كَـــانَ لا يَـــسْـــعَـــى لِـــجُـــودٍ مَـــاجِـــدٌ
إلَّا كـذَا فَـالْـغَـيْـثُ أبْـخَـلُ مَـنْ سَـعَـى[٢]
قَـدْ خَـلَّـفَ الْـعَـبَّـاسُ غُـرَّتَـكَ ٱبْـنَـهُ
مَـرْأًى لـنَـا وَإلـى الْـقِـيَـامَـةِ مَـسْـمَـعَـا[٣]

أنت نبع والملوك خروع

قال وقد ركب سيف الدولة في تشييع عبده يماك لما أنفذه في المقدمة إلى الرقة وهاجت ريح شديدة:

[الرجز]

لَا عَـــدِمَ الْـــمُـــشَـــيِّـــعَ الْـــمُـــشَـــيَّـــعُ
لَـيْـتَ ٱلـرِّيَـاحَ صُـنَّـعٌ مَـا تَـصْـنَـعُ[٤]

---

(١) طرًا: جميعاً. إنها مواصفات تلتئم لدى الفتى، الكامل الفتوّة، فإذا اجتمعت كلّ تلك الصفات لدى أحدهم فهو شبيه بالممدوح، وهذا محال لأن تلك الصفات متفرّقة بين البشر، وجميع الناس يساوون إصبع الممدوح إذا ما قيسوا بما لدى الممدوح من مزايا وصفات.

(٢) الغيث: المطر. يُقيم الشاعر مقارنة بين ممدوحه وسائر البشر، وبينه وبين المطر؛ فمن المؤكد أنه لا يوجد في البشر من يُوازي الممدوح في كرمه وسرعة تلبيته لاستغاثة الملهوف والمحتاج، حتى الغيث فإنه يُعتبر بخيلاً إذا ما قورن بالممدوح، فالمطر رحلته طويلة ليعمّ خيره الكون بما فيه ومن فيه من البشر عكس الممدوح الذي يُسارع إلى الخيرات.

(٣) يُخاطب الشاعر ممدوحه، إنه خلف أبيه العباس، والولد سرّ أبيه، إنه غرّة وضّاءة ومفخرة أبيه، كرماً وخُلقاً وهيئة، ففضله يتمثل بفضل الممدوح وكرمه؛ إنه صيت يبقى مع الدهر إلى يوم يبعثون على ألسنة البشر ثناءً ومدحاً.

(٤) المشيِّع: اسم فاعل، ويقصد بذلك سيف الدولة. المشيَّع: اسم مفعول غلام سيف الدولة يماك. يدعو الشاعر لسيف الدولة بدوام العمر وألّا يفتقده عبده، وهو يتمنّى على الرياح أن تصنع ما يصنعه الأمير من فوائد للناس لكرمه وجوده.